ق/25(03/14)/53- خ (0183)

اجتماع
مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة
الدورة العادية 25
دولة الكويت
الثلاثاء والاربعاء 24 - 25 جمادي الأول 1435 هـ الموافق 25 -26 مارس/ آذار 2014

أمانة شؤون مجلس الجامعة

كلمة

فخامة الرئيس الدكتور محمد منصف المرزوقي

رئيس الجمهورية التونسية

في جلسة العمل الأولى

لمجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة

الدورة العادية 25

دولة الكويت: 25 مارس/آذار 2014

صاحب سمو أمير دولة الكويت الشقيقة الشيخ صباح الأحمد جابر الصباح
أصحاب الجلالة والسمو والفخامة
السيد الأمين العام للجامعة العربية
حضرات السادة والسيدات الوزراء والسفراء
الحضور الكريم
أيها الاخوة الأعزّاء

بعد واجب الشكر والامتنان لصاحب السموّ أمير دولة الكويت ولشعب الكويت وحكومته لاستضافة هذه القمة بالحفاوة والكرم المعهودين منهم، اسمحوا لي أولاً أن أنقل إليكم وإلى كل العرب تحيات وتمنيات التونسيين والتونسيات ونؤكد لهم أن المسار الانتقالي السلس سيتواصل في كنف الحوار الوطني إلى نهاية المرحلة الانتقالية وأن ثورتنا السلمية ستنتهي ببناء دولتها الديمقراطية المدنية لتوفر لشعبنا حقه في الاستقرار والازدهار، لكن أمام خطورة الوضع الذي تمرّ به أمتنا المثخنة جراحا، أن أتكلم بصراحة وكلي ثقة أنكم ستتقبلونها مني لتشاركنا جميعا في نفس الآلام والآمال.

أكثر من أي وقت مضى،
نحن مهددون بعودة كاسحة للطائفية والقبلية والجهوية وكلها مؤشرات على فشل الدولة في تحقيق المواطنة لأنها بسياساتها الخاطئة دفعت الفرد إلى التقهقر إلى مستويات قديمة ومتخلفة بحثا عن الحماية والعدالة عوض الارتقاء إلى مصاف أعلى للانتماء والمسؤولية كالانتماء للعالم والإنسانية.

نحن مهددون باستقطاب ثنائي حاد بين الفقراء والأغنياء، بين الإسلاميين والعلمانيين، بين الديمقراطيين وغير الديمقراطيين، بين الشباب والشيوخ.

نحن مهددون بتوسع وتجذّر الإرهاب وكلنا نعرف عبث محاولة علاج ظواهره بالقوة إن لم نعالج أيضا وخصوصا أسبابه بالسياسة والاقتصاد والتعليم والثقافة.

نحن مهددون بتفاقم الفقر وبطالة النخب التي صرفنا عليها الأموال الطائلة فبذّرنا عطائها أكثر مما بذّرنا الأموال التي صرفناها لتكوينها.

نحن مهددون بصراعات وحتى بحروب أهلية لا تبقي ولا تذر نتيجة ثورات وثورات مضادة سترفع منسوب العنف بكيفية رهيبة وستضيّع علينا كل فرص الاستقرار والاستثمار والازدهار.
نحن مهددون بتفككك بعض دولنا وبشلل متزايد يساوي الاندثار لمنظماتنا الاقليمية.

نحن مهددون بتفتّت ما بقي من فلسطين وضياع حقوق شعبها إلى الأبد اضف لهذا ضياع المسجد الاقصى ووصول المأساة الانسانية ذروتها في غزّة المحاصرة ...غزّة الشهيدة...غزّة المظلومة.

نحن مهددون بتوسع الهوة العلمية والتكنولوجية والاقتصادية بيننا وبين عدد متصاعد من الشعوب والأمم مما سيزيد من تخلفنا ومن تبعيتنا لا فقط بالنسبة للغرب وإنما حتى بالنسبة للشرق والجنوب.

نحن مهددون بالكارثة البيئية التي تتوعدنا بالعطش والتصحّر والجوع وحتى بانهيار كامل لمجتمعاتنا.
والمحصّلة أن شعوبنا وأمتنا لم تعرف مثل هذه التحديات المصيرية منذ الغزو الصليبي والمغولي والخيار اليوم بين ان نكون أو لا نكون.

ايها الاخوة الكرام

جزء كبير من هذه الأخطار المحدقة بنا والكوارث التي تترصدنا ناجم عن أوضاع تتجاوزنا مثل التغيير المناخي أو النظام الاقتصادي العالمي ، لكن جزءا هامّا منه مسؤولية الخيارات الخاطئة التي اتبّعها اسلافنا ،أغلب الوقت عن حسن نية أو لأنها كانت مرتبطة بإيدولوجيات عصرهم وأثبتت التجارب عقمها. فجلّ المآسي التي تتخبط فيها شعوبنا ناجمة عن تجاهل عمق مطلب الحريات الفردية والجماعية ومطلب العدالة الاجتماعية ومحاربة الفساد وكل سياسة لا تتجاوب مع هذه الطلبات بصدق وفعالية، أو تتصدّى لها بأساليب وعقليات الستينيات ، لا تفعل سوى إعداد الثورات المقبلة حتى ولو كان الثمن باهظا كالذي يدفعه اليوم الشعب السوري.

مثل هذا الوضع غير المسبوق في تاريخنا الحديث يتطلب منا اجراءات تكون على مستوى التحديات المصيرية التي تواجهها شعوبنا وأمتنا ، منها التي تتعامل مع كوارث اللحظة الراهنة ومنها التي تتوجّه إلى الأمد المتوسط ثم إلى الأمد البعيد.

أولاً: على صعيد اللحظة الراهنة:

لا شيء يستأهل أن نتجنّد من أجله قدر إيقاف حمام الدم في سوريا . أنني أتوجّه كطبيب للطبيب بشّار الأسد وكثائر على الاستبداد للثوار ليرحموا الشعب السوري الذي فاقت محنته كل المحن وأدعوهم إلى وقف فوري لإطلاق النار وإيجاد حلّ سياسي لمأساة فاقت كل ما عرفنا من مآسي.
ليعلموا جميعا إنهم سيضطرون لهذا الحلّ السياسي عاجلا أو آجلا وأن تأجيله نتيجة حسابات خاطئة سيكون ثمنه عشرات الآلاف من الأرواح البريئة التي ستهدر عبثا. فهل هم على استعداد أمام التاريخ وأمام ضمائرهم لتحمل وزر كل هذه الأرواح الضائعة ؟

لحقن الدماء العربية اليوم وغدا لا قدّر الله تدعو تونس هذه القمة لخلق لجنة مصالحة قومية قارّة لتلعب دور فرقة المطافئ ساعية لإعادة سبل الحوار المتقطعة بين كل الأطراف السياسية داخل دولنا وبينها وساعية قبل كل شيء لرفع الحصار عن أهلنا في مخيم اليرموك وفي غزّة ودعم أهلنا في القدس ليحفظوا للأمة أولى القبلتين وثالث الحرمين.

ثانياً: على الأمد المتوسط:

إنه من بالغ الأهمية أن تدخل قراراتنا السابقة حيز التنفيذ وعلى رأسها إحداث صندوق المشاريع المتوسطة والصغرى الذي اقترحته الكويت والاتحاد الجمركي بحدود 2015 وربط شبكات الكهرباء والسكك الحديدة في أسرع وقت.

إن تونس ستتشرّف باحتضان القمة العربية الاقتصادية المقبلة سنة 2015 وستكون هذه القمة فرصة ثمينة للقادة العرب لبعث رسائل مطمئنة لشعوبنا بأننا نستمع لكل مقترحات التكامل العربي ومنها مقترحات الاسكوا الصادرة هذه السنة ومقترحات مؤسساتنا المختصة لوضع حدّ للضعف المشين في مستوى مبادلاتنا الاقتصادية والتجارية.

يجب أن تبشّر القمة الاقتصادية المقبلة العرب بقرارات، ولو متواضعة لكن تنفذ، لمزيد من التكامل الاقتصادي وفتح الأسواق العربية لبعضها البعض وخاصة اعتماد لغتنا المقدّسة كلغة التعليم العالي والبحث العلمي والإدارة. مثل هذه الإجراءات ستغيّر الكثير وضعنا النفسي والسياسي والاقتصادي على الأمد المتوسّط وستعدّنا لمواجهة تحديات الأمد الطويل.

ثالثاً: على الأمد البعيد المدي:

لم يعد خافيا لا على الأمة ولا على بقية الأمم أننا شاذة هذا العالم فلا يوجد شعوب أكثر قربا وارتباطا ولا يوجد شعوب أقل تكاملا وتعاونا. فأوروبا مندمجة اقتصاديا بنسبة 60 في المائة ومنطقة شرق آسيا بنسبة 35 في المائة في حين لا تتجاوز نسبة الاندماج في المغرب العربي 2 في المائة والأمر ناجم أساسا عن عدم ملائمة مؤسساتنا مع متطلبات العصر.

إن الجامعة العربية مؤسسة محترمة وأحيّ تضحيات وخدمات كل من عملوا فيها ولا يزالون وفي أصعب الظروف وأحيي على وجه الخصوص الدكتور نبيل العربي لكل مجهوداته في المأساة السورية . لكن الأمة بحاجة لهيكل جديد يواصل عمل الجامعة ويشكل قفزة نوعية بالنسبة إليها.

كما تعلمون، هناك اتحاد أوروبي واتحاد افريقي وقد آن الأوان ليكون لنا نحن أيضا اتحادنا العربي على شاكلة الاتحاد الافريقي الذي تتعايش داخله خمس منظمات اقليمية أقلّها نشاطا للأسف الاتحاد المغاربي . كما علينا إحداث برلمان عربي حقيقي على شاكلة البرلمان الأوروبي.

قد يبدو سرياليا أن يطرح هكذا موضوع في هكذا ظرف لكن ألا يفتقد البدر خاصة في الليلة الظلماء وهل ثمة ليلة أكثر ظلاما من التي نعيش.

كم من معجزات حققتها إرادة الشعوب والأمم وهي في أصعب الأوضاع مستمدّة من خطورة التحديات حزم وذكاء استراتيجيات مواجهتها. إن ما يتطلبه وضع أمتنا هو أن نقتنص الفكرة وأن ندرس الإمكانية لنبني أسس اتحاد مكوّن من شعوب حرة ودول مستقلة داخل حدودها الحالية تتعاون لخلق فضاء سياسي اقتصادي اجتماعي أمني بيئي متزايد الاندماج إذ لا حلّ غير هذا الاتحاد لتعود لأمتنا مكانتها بين الأمم العظمى.

إن تونس تقترح تشكيل لجنة تنظر في الخطوط العريضة للمشروع ليعرض على القمة السياسية المقبلة على أمل أن نستطيع الشروع تدريجيا في رفع أسسه وإتمام بنائه وجعله حقيقة في ظرف لا يتجاوز العشر سنوات المقبلة لأن هذا ما يتطلبه الوضع وما يمليه الواجب والضمير.

أيها الاخوة الأفاضل
نحن في مفترق طريق بالغ الخطورة في تاريخنا أفرادا وشعوبا وأمة فإما نغفل عن تاريخية اللحظة ونترك قوى جبارة تدفع بنا في نفس الاتجاه الذي قادنا للوضع الحالي، أو نظهر جدارتنا بهذه اللحظة الفاصلة وقدرتنا على التحكم فيها فنترك في تاريخ أمتنا صورة الاباء المؤسسين.

نعم نحن الأبناء والأحفاد الذي يفاخرون عن حقّ بآبائهم وأجدادهم فلنكن أيضا الآباء والأجداد الذين سيفاخر بهم الأبناء والأحفاد

وفقنا الله جميعا في خدمة أمة أعطتنا كل شيء وتنتظر منا أن نعطيها نحن ما هي بأمسّ الحاجة إليه: السلم والتقدّم والتضامن والحرية ومكانتها بين كبرى الأمم الصانعة للحضارة البشرية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته